علم الدلالة للألفاظ العربية فی ''البـيان والتبيـين'' عند الجاحظ

فيروز حريرچی*
سيدة رقية مهری نژاد**

الملخص

يعتبر الجاحظ من أبرز مشاهير العلم والأدب فی العالم، كما يعتبر إلى جانب اضطلاعه فی مختلف العلوم والمعارف والأدب، من جهابذة علم الكلام والعقائد، بحيث وضع باسمه مذهب جديد سمِّی فی تاريخ علم الكلام بالجاحظيّة. أما آثاره ومؤلفاته، أيّا كان موضوعها، فلا تكاد تخلو من الجانب الأدبی، بل ويغلب عليها الأسلوب الأدبی. إن من أهم مآثر الجاحظ كتاب "البيان والتبيـين" الذی طبقت الآفاق شهرته، ويحتوی على العديد من المواضيع المفيدة. ومما يستشف فی هذا الكتاب فضلا عن تعدد الموضوعات هو ما عرض الجاحظ من مقدرته العلمية الكبيرة، وقريحته الأدبية الفائقة، ومن أبلغ أعماله فی الكتاب أهمية من الوجهة الأدبية، يمكن الإشارة إلى دراسات علم الدلالة للألفاظ وفق المنهجين القديم والحديث، وإن قام علم الدلالة الحديثة على أسس لم تكن معهودة شائعة فی القديم، فلا يدل هذا على أن المناهج التی كان المتقدمون يتناولون بحوثهم على أساسها غير مقبولة لدی المعاصرين، وقد حاولت كاتبة هذه السطور فی إثبات وثاقة أخبار المتقدمين وإتقان أساليب استخدمها الجاحظ كأحد المتقدمين فی بيان الألفاظ وتفسيرها.

الكلمات الدليلية: الجاحظيّة، البـيان والتبيـين، المعنی، اللفظية، علم الدلالة، الألفاظ العربية.

*. عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية فرع علوم وتحقيقات بطهران – أستاذ.
**. خريجة جامعة آزاد الإسلامية فرع علوم وتحقيقات بطهران – مرحلة الدكتوراه.
Mehrinezhad_r@gmail.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٧/٦هـ. ش تاريخ القبول: ١٣٩٠/٨/٢٨هـ. ش

المقدمة

لم يكتف الجاحظ فی کتابه البیان والتبیین بجمع الآیات القرآنیة، والخطب، والکلمات الحکیمة، والأشعار، وضرب الأمثال، وما إلی ذلک، وإنما عرض فی مواطن مختلفة من کتابه وبمرات عدیدة للتفسیر والتبیین بکثیر من المناهج، والأسالیب القویمة، وتناول المباحث بالدرس، وأمعن النظر وتعمق، فتارة قد اکتفی ببیان المعانی والمفاهیم المعجمیة للکلمات واللغات، وتارة أخری نراه یفسر الألفاظ برأیه، ویعبرّ عن معناها بتعابیر نحو "هنـا" و"هـاهنـا"، علی أنه إضافة إلی هذا تطرق إلی تبیین الکلمات، واللغات، والتعبیرات عبر بیان المعانی والمفاهیم الاصطلاحیة، وبسط الحدود والرسوم العقلیة والمنطقیة، وبما أن البـیان وکذلک التبیـین والتبیان قد جری فی هذا التفسیر اللغوی فی الکتاب، فقد سماه "البـیان والتبیـین".

الولادة

هو أبوعثمان عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ، من النوابغ وعباقرة اللغة الکبار، لم یصل إلینا عن بدایة حیاته وولادته إلا معلومات قلیلة.ولد الجاحظ سنة ١٥٩ هجریة الموافقة لـ ٧٧٥ للمیلاد فی مدینة البصرة. وأما بالنسبة إلی أصالته فقد اعتبره بعض التراجم من العرب وبعض آخر نسبه إلی إفریقیا.

توفی أبوه والجاحظ طفل صغیر، فذاق هذا العالم منذ نعومة أظفاره مرارة الیتم والفقر، وجرّب مرارات أخری. إن التاریخ لم یبق لنا تأریخا دقیقا لولادة الجاحظ ولا شک فی أنه لم یکن بنفسه مطلعا علی تاریخ ولادته.غیر أن بعض المورخین ذکروا تاریخ ولادته سنة ١٦٣ للهجرة واعتبروا وفاته سنة ٢٥٥ للهجرة. (الزرکلی، ١٩٩٨م، ج٥: ٢٣٩) وإن لم یکن تاریخ ولادة أبی نواس غیر معلوم فلیس من تاریخ ولادة الجاحظ أیضا معلومات دقیقة، وإنما قال هو نفسه فی أخریات حیاته: إنی ناهزت التسعین. (القالـی، ١٩٥٣م، ج١: ٤٩)

فى لقبه

إنه أبوعثمان عمرو بن بحر الكنانى الفقيهى البصرى الملقّب بالجاحظ، ولقّب جاحظا لأن عينيه جاحظتان، والجحوظ نتوء حدقة العين. لم يكن الجاحظ فى شبابه يرضيه هذا اللقب، وكان يسعى فى أن يوقف الناس على أن اسمه عمرو، فصنف رسالة فى اسم الشعراء الملقبين بعمرو، كما وألّف رسالة أخرى وقدّمه ثلاثين شخصا كانوا ملقبين بعمرو، غير أنه لم يكن فى أيام شيخوخته يمنع أحدا إذا ناداه بالجاحظ. (بلّا، ١٩٨٥م: ٩٩ -١٠٠)

مذهب الجاحظية

تنسب إلى الجاحظ الفرقة المعروفة بالجاحظيّة من المعتزلة، والمعارف فى مذهبه ضرورية بالطبيعة وليس شيء منها يفعله العباد، وإنما العباد ذوو الإرادة، وأفعالهم ناشئة من طباعهم، فإنه يرى أن أهل النار لايعذبون فى النار خالدين، بل يستحيلون إلى النار، ويصبحون نارا والنار تجذب أهلها. (الشهرستانى، ١٩٤٨م: ١٠٢)

قد رجّح هذا العالم المعتزلى فى تصانيفه العقل على الحواس، وبالعناية إلى أصول مذهبه الجاحظيّة يقبل على الجدل كثيرا. إن الجدل أسلوب شائع فى أيام الجاحظ، فإنه كان يستخدم فى آثاره علم الكلام بصورة جدلية هازئة، ويستعين فى إنجازاته الأدبية طريق الشک والتردد للوصول إلى اليقين.أصيب الجاحظ فى أواخر حياته بالشلل وأصبح فالجا فى نصف جسده، فعاد إلى مسقط رأسه البصرة، وقام بالدراسة والتعليم.

قيمة كتاب "البيان والتبيين" أدبيا وتاريخيا

إنه كتاب صنفه الجاحظ بالعربية، وهو مختارات من الأدب العربى، والآى القرآنية، والأحاديث الشريفة، والأشعار، والحكم والخطب، قد مازجها المؤلف بآرائه وعقائده وهو يحتوى على مباحث فريدة خلابة فى المسائل الأدبية نحو اختلاف العرب فى استعمال الألفاظ، وعيوب اللسان، والبيان، والبلاغة، والشعر، والخطب، والأسجاع،

وأسماء الخطباء، والبلغاء، والكهان، وغيرهم، قد طبع الكتاب مرات. (معين، ١٣٦٢ش: ٣٠٧)

وإنه كتاب تمتع فيه مؤلفه بالموضوعات العقلية، وعكست كمرآة جلية ثقافة عصر مصنفه الأدبية، والنحل الفلسفية فيه.قال ابن خلدون: وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين، وهى:

١. أدب الكاتب، لابن قتيبه الدينورى.

٢. كتاب الكامل للمبرّد.

٣. كتاب البيان والتبيين لعمرو بن بحر الجاحظ.

٤. كتاب النوادر لأبى على القالـى البغدادى. (ابن خلدون، لاتا: ٥٥٤ –٥٥٣)

ثم يقول مؤكدا: وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها.

قيمة هذا الكتاب التاريخية أنه جامع لمختلف الثقافات اليونانية والهندية والفارسية، التى حملت ثقلها اللغة العربية عندما نقلت إليها أشياء من أخبار هذه الشعوب، والحكم، والنصائح التى تحملها لنا. (الجاحظ، ١٩٩٠م: ٥)

فقد ذكر الجاحظ فى كتابه هذا ما ذكرت العرب من الأمم البائدة، والقرون السالفة. ولبعضهم بقايا قليلة، وهم أشلاء فى العرب متفرقون مغمورون، مثل جرهم، وجاسم، ووبار، وعملاق، وأميم، وطسم، وجديس، ولقمان، والهرماس، وبنى الناصور، وقيل بن عتر، وذى جدن. إن الجاحظ قد صنف هذا الكتاب فى أواخر عمره وكان هدفه الأساس فى تأليف الكتاب، كما يدل عليه اسمه، هو تعليم قواعد الكتابة الصحيحة للناشئين، ثم قام فيه ببيان أسرار اللغة ورموزها ليكون دليل الكتّاب الأفاضل كى لايخطئوا فى كتاباتهم.

محتويات الكتاب

يشمل كتاب فصولا نقدية قيمة استهلها الجاحظ بذكر أسباب ضعف الناس وعجزهم فى التكلم، ثم تطرق إلى فصاحة اللغة، وفن الخطابة والخطباء، ومن ثم أورد أنواع

الدلالات منها الإشارة باليد، والرأس، والوجه، وفنّد الشعوبية بشدة فى قسم آخر من كتابه ـ كما تقدم ذكره آنفا ـ وإن لم يكن علاقة وتسلسل منطقى بين هذه المباحث، ولايمكننا الحصول على أى ارتباط بين مختلف الأفكار ومتعدد الآراء الواردة فى الكتاب.ويمكن بالنظر فى الكتاب أن يقال بأن فيه وجوها وجوانب تعليمية توجيهية، وأن الغاية الرئيسة التى يلتمسها المؤلف هى البلاغة وعلم البيان والنقد، والجاحظ درس هذه العلوم فى كتابه باضطلاعه العلمى.

صنف الكتاب فى ثلاثة مجلدات، لاتجد أى علاقة وتنسيق خاص بين المجلدات الثلاثة، وهذا يرجع إلى أسلوب المؤلف ومنهجه الخاص حيث اتّبع هذا المنهج فى جميع مؤلفاته وخاصة فى البيان والتبيين.

مدخل فى علم الدلالة

بما أن هناک علاقة وضعية بين الألفاظ ومعانيها، وأن العديد من الطرق والمناهج التى تؤدى فى إثبات أصول السمنطيقا وقواعدها إلى هذه العلاقة، فيجدر بداية أن نذكر مدخلا قصيرا فى موضوع السمنطيقا ومعرفة دلالة الألفاظ.

طالما كان الفلاسفة، والمتكلمون، والمفسّرون ينقبون فى معرفة المعنى، وقد فطنوا أنه ليس نيل الحقيقة، والمطلوب، والهدف االرئيس من العبارة، أمر سهل يسير فى جميع الأحيان، ولعل هناک جملا وعبارات لاتبدو فى ظاهر أمرها صعبة تشكل على القارئ والمخاطب، فيما أن المراد والمقصود قد يعارض ظاهر الكلام. فقد ابتدأت دراسة المعنى عندما اطلع الإنسان فى اللغة واللسان على معلومات، فعلم أن هناک رغم ما يظهر من جلاء الألفاظ والعبارات مستويات من المعنى خافية، بحيث على المخاطب أن يعتنى بها ويستنبط المعنى المراد من هذه الطبقات المعنوية.

هناک للسمنطيقا، مصطلحات مختلفة، من أهمها فى اللغة العربية "علم الدلالة"، و"علم المعنى"، كما ومن أبرزها فى المصطلحات الفرنسية (semantque)، وتدعى فى اللغة الإنجليزية بـ(semantics) والألمان يعرفونها بـ(semantik) والذى استخدم الاصطلاح

الفرنسوى لأول مرة هو ميشل بريال (Breal.J.M). (بالمر؛ وعوض حيدر، ٢٠٠٥م: ١٢)

وعلى هذا فإن دراسة اللغة، أى لغة تنقسم إلى مستويات أهمها هى:

١. مستوى الأصوات ٢. مستوى الصرف ٣. مستوى النحو ٤. مستوى الدلالة، الذى يختص بدراسة معانى الكلمات ٥. مستوى المعجم، ويستمد وجوده من علم دراسة تاريخ الكلمات، وعلم الدلالة. (حاجى زاده، ١٣٨٨ش: ٥٩)

المعنى فى اللغة

قد ذكر ابن منظور فى بيان كلمة "المعنى" ما يلى لفظه: «... ومَعْنَى كلِ شىءٍ: محنتُهُ وحالُهُ التـى يصير إليها أمره. وروى الأزهرى عن أحمد بن يحيى قال: المَعْنَى والتفسير والتأويل واحدٌ، وعَنَيتُ بالقول كذا: أردت. ومعنَى كلّ كلام ومعناتُهُ ومَعـنِيّتُهُ: مَقـصدُهُ.» (ابن منظور، ٢٠٠٥م، ج١٥، مادة: عنى)

وقال الزبيدى فى تاج العروس: قال الفارابـى: ومعنى الشىء وفحواه ومقتضاه ومضمونه كلّه ما يدل عليه اللفظ... ويجمع المعنى على المعانـى وينسب إليه فيقال المعنوى، وهو ما لايكون للسان فيه حظّ، إنما هو معنىً يُعرف بالقلب. (الزبيدى، ١٩٦٦م، ج١، مادة: عنى)

ويكمن أن نخلص مما تقدم أن لفظة "المعنى" لغةً، يدلّ على الأمور التالية:

١. مراد الكلام والمعنىّ منه.

٢. فحوى الكلام وما يدل عليه الكلام.

٣. المعنى المستور الخافى الذى يستشف بالعقل والقلب. وأن المعنى غير اللفظ.

وأما لفظة المَعْنِى على وزن «مَفْعِل» فهى مشتقة من فعل «عُنِـى» بالأمر ـ عنياً وعنايةً: اهتمّ وشُغِل به فهو معنِىٌّ به. (إبراهيم، ١٤٢٦ق، ج١: ٦٣٢) ومعنِى الكلام هو مقصده والغرض منه والمَعْنَى هو ما يدلّ عليه اللفظ. (المصدر نفسه: الصفحة نفسها)

وأما مفهوم المعنى فى الاصطلاح: يقول الزبيدى فى تاج العروس عن المعنى اصطلاحا: «المعانـى هى المصوراتُ الذهنيةُ من حيث وضع بازائها الألفاظ.» ثم يذكر لكل من

هذه الصور الذهنية مصطلحات حسب مراتب حصولها فى الذهن، فإن كانت الصورة الحاصلة فى الذهن من حيث اللفظ فهى المعنى، وإذا كانت هذه الصورة الحاصلة من اللفظ قد حصل عليها العقل فهى المفهوم، وإذا كانت الصورة الحاصلة فى الذهن تألفت فى جواب "ما هو؟..." فتدعى بالماهية، وأما من حيث تكون هذه الصورة الحاصلة فى الذهن فى العالم الخارجى فتسمّى بالحقيقة، وهى من حيث افتراقها من سائر المصاديق فتتخذ وجودا مستقلّا وتعرف بالهويّة. (الزبيدى، ١٩٦٦م، ج١٠، مادة: عنى)

العلاقة بين اللفظ والمعنى

لقد أشار نصير الدين الطوسى اتباعا لابن سينا فى بعض آثاره العقلية والمنطقية كشرحه على الإشارات وأساس الاقتباس، إلى أكوان أربعة فى بيان العلاقة بين اللفظ والمعنى، وهى:

١. الكون الخارجى ٢. الكون الذهنى

٣. الكون اللفظى ٤. الكون الكتبى

فدلالة الكون الكتبى على الكون اللفظى، دلالة وضعية ومثلها دلالة الكون اللفظى على الكون الذهنى، تختلف باختلاف الأوضاع والظروف واللغات، إلا أن دلالة الكون الذهنى على الخارجى منه دلالة طبيعية لايتطرق إليه الاختلاف باختلاف الظروف، فلكون العلاقة بين اللفظ والمعنى ثابتة قد يتحقق انتقال الذهن إلى المعنى عن طريق الألفاظ الذهنية وتصويرها فى الذهن، وإلى هذا يرجع سبب أن ظهور أحوال خاصة فى الألفاظ يؤدى إلى توهم نظائرها فى المعانى، وتتغير المعانى بتغير الألفاظ، فتظهر المغالطات.

إن الألفاظ الموضوعة تدل على معانيها بثلاثة أوجه: المطابقة، التضمن، الالتزام.

أ) المطابقة

إذا دلّ لفظ على تمام معناه فتسمى دلالته مطابقةً، نحو دلالة لفظ البيت على السقف والجدران، ومثله دلالة لفظ الماء على جزئيه الفيزيائيين.

ب) التضمن

إذا كانت دلالة اللفظ على جزء من معناه، مثل دلالة لفظ البيت على السقف وحده أو الجدار دون غيره، فتسمى هذه الدلالة تضمنا، إذ إن لفظ البيت يدل فى ضمن دلالته على مجموع أجزاء البيت، على جزء واحد بعينه أيضا.

ج) الالتزام

إذا دل اللفظ على شيء أجنبى خارج عن أصل معناه، كدلالة لفظ البيت على سكانه، أو دلالة الماء على وعائه فهى دلالة التزام، ففى الدلالة الالتزامية يسمى المعنى الأصل ملزوما، والمعنى الخارجى لازما، وما بينهما من العلاقة هو اللزوم. (المظفر، ١٣٥٧ش: ٣٥-٣٨)

واللزوم على قسمين:

أ. اللزوم البيّن؛ب. اللزوم غير البيّن.

أ. اللزوم البيّن

إذا تحقق تصور اللازم بمجرد تصور الملزوم، وهو على قسمين:

١. البيّن الأخصّ

إذا تحقق اللزوم بين اللازم والملزوم بمجرد تصورهما فيسمى اللازم البيّن بالمعنى الأخص كالماء والرطوبة.

٢. البيّن الأعمّ

إذا لم يكن تحقق تصور اللازم من تصور الملزوم، وإنما يحص القطع واليقين باللزوم من تصور الملزوم واللازم وتصور النسبة والعلاقة بينهما، فيسمى اللازم بالمعنى الأعم كالحرارة.

ب. اللزوم غير البيّن

إذا خفى اللازم واحتيج للوقوف عليه إلى القرائن والوسائط فيدعى اللازم بغير البيّن،

نحو الكرم وكثرة استهلاک الطاقة فی المطبخ. (راجع: توسی، ۱۳۳۵ش: ۲۳ و۸ ؛ المظفر، ۱۳۵۷ش: ۳۵-۳۲)

إن أول المبادئ فی معرفة المعنی والمفهوم يقوم علی أساس من الدلالة وكيفية الوضع، والجعل، والعلاقة بين اللفظ والمعنی، وقد درس كتاب البيان والتبيين هذه الدلالات علی النحو التالی:

۱. المعنی اللغوی والمعجمی

إن الجاحظ قد بيّن وفسّر فی مواطن مختلفة من كتابه البـيان والتبيين، كثيرا من اللغات المستخدمة فی الأشعار والخطب والأحاديث والأخبار وغيرها، واختار معنی دون معنی آخر ولم يأت بأی استدلال فی ترجيحه معنی علی الآخر. إن كاتبة المقالة هذه قد وثّقت تفاسير الجاحظ بالإرجاع إلی المعاجم اللغوية المعتبرة، وقد استند فی هذا الأمر إلی المعاجم المدونة قبل الجاحظ، أهمها كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدی، وكذلک المعاجم التی جاءت بعده كالصحاح للجوهری، وقاموس اللغة للفيروز آبادی، وقد تمتعت بالمعاجم المعاصرة والمعاجم الفارسية منها منتهی الأرب فی لغة العرب لصفی بور الشيرازی، ومحيط المحيط للبستانی. ومما يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار أن المعاجم اللغوية ليست قادرة علی تقديم كل ما للفظ من المعنی، واللفظ يتخذ معنی يتوافق والنص الذی هو فيه وما جاوره من الكلمات والتراكيب يمكن أن يكون أوسع مما ورد فی كتب اللغة أو أضيق. فالتخيل والمجاز يمكّنان المستخدم من أن يتذرع بحفظ الأصول ومراعاة جوانب اللغة والوضع، وكذلک بوجود القرينة فی الجملة، ليزيد علی سعة معنی اللفظ أو ينقص منها.

فالنظر إلی اللغة أيضا قد اعتراه التغير وتطوّر، فعلی وجهة النظر الجديدة هذه يتفاوت فهم الأشخاص من اللغة بتفاوت ما لهم من الروحيات والخلقيات والتجارب، ولايكاد يشترک اثنان من الناحية النفسية، فلا يمكن العثور علی اثنين يفهمان فهما واحدا من لغة واحدة.

٢. المعنى والمفهوم لدى التفسير بالرأى

إن الجاحظ قد يتعرض إلى تفسير لغات فى كتابه هذا برأيه، ويستخدم تعابير منها ''هـنا'' و''هـاهـنا''، والذى ينبغى الانتباه به فى التفسير بالرأى أنه يفيد العموم، إذ يشمل الجعل والوضع، كما يحتمل إيثار معنى على معنى آخر من معانى اللفظ المختلفة تأويلا أو مجازا. إضافة إلى أن بعض تلك المعانى المذكورة فى هذا القسم من التفسيرات اللغوية لم نقف عليها فى المصادر التى استند إليها المؤلف، فمن الممكن أن يكون الجاحظ قد جعل من تلقاء نفسه مثل هذه المعانى، فتعبيرىْ ''هـنا'' و''هـاهـنا'' فى هذه المقالة مع احتمالنا يردّ بعض الاعتراضات والمؤاخذات فى هذا الأمر.

٣. تبيين المعانى الالتزامية وبيان تفاسير على أساس الحدّ أو الرسم المنطقيين

إن بعض التحليلات اللغوية التى تبنى على التعاريف الحدّية أو الرسمية العلمية أو البلاغية، أو المنطقية، مما يزيد كتاب ''البـيان والتبيـين'' أهمية، وبهذا الطابع قد فاق التصانيف الأخرى المصنفة فى هذا الفن. إن كاتبة المقالة هذه قد تناولت هذا المنهج بالدرس بإيراد مفردات منتخبة حسب تفسير الجاحظ، وتبيينه لها فى كتابه البيان والتبيين، فقد جمعت كل الألفاظ المفسرة بما سميناه التفسير بالرأى، مؤكدة أن: علم الدلالة فى هذا الكتاب تقتضى درس اللغات وفق كيفية استخدامها فى دلالتها الحقيقية أو المجازية أو الالتزامية فلتتبين أمور عدة منها:

١. الألفاظ التى تدلّ على المعنى الحقيقى الوضعى وقد ذكرتها المعاجم اللغوية.

٢. الألفاظ المستخدمة فى غير ما وضع له من المعنى كالاستعارة أو التشبيه أو المجاز، أو المعنى الذى ذكره المؤلف بقوله ''هـنا'' أو''هـاهـنا''، مما سمِّىَ ها هنا بالتفسير بالرأى.

٣. الألفاظ المستخدمة فى المعنى الاصطلاحى نحو المصطلحات النحوية أو الصرفية أو المنطقية أو الفقهية أو غيرها، أوضحها بتعريف تام أو ناقص لها.

وإليک نماذج من بيان المفردات استنادا إلى المعاجم اللغوية الموثقة:

الثَّـلَّة

الضَّأنُ الكثيرةُ.

الثَّلـَّة بالفتح: جَماعةُ الغَنَم، والثَّلة: الصَّوف فقط، عَن ابن دريد يقال: كساء جَيدٌ الثَّلة: أى الصّوف. (ابن منظور، ۲۰۰۵م، ج۱، مادة: ثلل)

الثَّـلَّة: جَماعة الغَنَم. (الجُرّ، ۱۹۷۳م: ۳۶۶)

الثَّـلَّة: ج ثِلَل وثِلال: القطعة الكبيرة من الغنم، يقال:«فُلانٌ لايفـْرُقُ بَينَ الثَّـلَّةِ والثُّـلَّة»: أى إنه لايعرف الإنسان من الغنم. (المنجد: بندرريگى، لاتا، ج۱، مادة: ثلل)

ولفظة «الثَّلَّة» لم نعثر عليها فى كتب اللغة المعتبرة المتقدمة، ومن المحتمل أن يكون المتأخرين فى معاجمهم قد أخذوها عن الجاحظ، حيث نرى أمثال هذه المعانى فى البيان، كما وليس يستغرب أن يكون الجاحظ هو الذى وضع هذه المعانى لهذه الألفاظ.

الخُلْـد

ضَربٌ من الجُرُذان يُولَد أعمى. قال صفوانُ الأنصارىّ فى بشّار وأخَوَيهِ وكان يخاطب أمهم:

ولَدْتِ خُلداً وذِيخاً فى تشْـتمُّه وبعده خُزَراً يشْـتدّ فـى الصُّعُدِ

(ب: ۴۸/۱)

ولدت فارة عمياء وذكر ضبع، أعرج قبيحا، ثم تمخضت عن أرنب قصير اليد سريع فى صعود العقبات الكأداء.

الخُلد: ضَرْبٌ من الجِرذان عُمى، لم يخلَقْ لها عُيون، واحدتها خِلـْدة، والجمع خِلدان. (الفراهيدى، ۱۴۲۵ق، ج۱، مادة: خلد)

الخُلد: ضربٌ من الجِرذان أعمى. (الجوهرى، ۲۰۰۸م، مادة: خلد)

الخُلد: لِلفأرة العمياء. (البستانى، ۱۹۸۹م، ج۱، مادة: خلد)

الخُلد: الفَأرةُ العَميا. القُبَّرة. (إبراهيم، ۱۴۲۶ق، ج۱، مادة: خلد)

شَريـجان

جِنسانِ مُختلفانِ فِی کُلِّ شَیءٍ. قالت الجُهَنِیَّـةُ:

بَصیرٌ بعَوراتِ الکلام إذا إلتَقَی شَرِیجـان بین القوم: حقٌّ وباطلُ

(ب: ۱۸۶/۱-۱۸۵)

إذا التقی فریقا الحق والباطل فهو عارف بفواحش الکلام وعیوبه.

الشَّریجان: لَونانِ مُختَلفانِ وخطَّا نِیری البُرد والمُشَارَجَةُ المُشَابَهَةُ، وفَتَیاتٌ مشارجاتٌ مُتَساویاتٌ فی السِّنِّ. (الفیروزآبادی، ۱۹۸۷م، ج۱، مادة: شرج)

الشَّریجان: لونان مختلفان من کل شیء. (الجُرّ، ۱۹۷۳م: ۷۰۸)

الشَّریج ج شَرائج: المثل والنظیر. (بندرریگی، لاتا، مادة: شرج)

أما نماذج مما فسّر الجاحظ الألفاظ برأیه، واتسمها بتعبیر "هاهنا"، فکما یلی:

العَـوَج

عَوَج: جمع عَوجاء، وهـی هـاهنـا: القَوس.

العَوَجُ أعْوَج والأُنثی عَوجاء وجمعه عُوجُ: القَوس. (الفراهیدی، ۱۹۸۸م، ج۲، مادة: عوج)

أعوج مؤنثه عَوجاء: القَوْسُ. (الجوهری، ۲۰۰۸م، مادة: عوج)

عَوجاء الضَّاصرةِ مِنَ الإبل وهَضْبَـةٌ تُناوِحُ جَبَلـیْ طَیِّیءٍ فَرَسُ عامِرِ بنِ جُوَیْنٍ الطائِیّ واسمٌ لمواضِعَ والعَوجاء: القَوس وعاج. (الزبیدی، ۱۹۶۶م، ج۲، مادة: عوج)

أعوج مؤنثه عَوجاءَ ج عُوج: القَوس. (ابن منظور، ۲۰۰۵م، ج۲، مادة: عوج)

فالجاحظ فی هذا المثال قد فهم من "العوجاء" فی هذا الموضع معنی القوس وبین هذا المعنی وأصل المفهوم اللغوی تناسب وتوافق تام.

الغَـرْب:

هـاهنـا: الدَّوام.

الغَرْب: التَّمادى. (الفراهيدى، ١٩٨٨م، ج٢، مادة: غرب)

قد أثبتت المعاجم هذه الكلمة بمختلف الحركات ومتعدد المعانى، وأما الدوام فلا وجود له فيما بينها، على أنه هناك مفاهيم ومعانى توافق معنى الدوام، منها: عرق فى العين يسيل منه الماء والدمع دائما ولايقف. (شاهجهانى، لاتا: ٣٧٦)

ومن أمثلة الألفاظ التى بينها الجاحظ بشكل تام، فهى:

ضَـاوية الأعـراق:

ضَاويةُ الأعراق، أى ضعيفةُ الأَعراق نحيفتُـها، يقال رجلٌ ضاو، وفيه ضاويةٌ، إذا كان نحيفاً قليلَ الجسم. وجاء فى الحديث: «إغتـربوا لاتُضـوُوا.» أى: لايتزوَّج الرَّجل القرابة القريبة، فيجيءَ ولدُه ضاوياً. والفعل منه ضَوِىَ يَضْـوَى ضَـوًى. والأعراقُ: الأصول، والمحاقُ: التى عادتها أن تلد الحَمْقَـى.

قال الشاعر:

أزرَى بِسَعيِک أنْ كنتَ امرأً حَمِقاً مِن نسلِ ضاوِيَـةِ الأعـراقِ مِحْماقِ

(ب: ١٦٤/١)

هناک ثلاث ملاحظات فى هذا التبين:

١. تفسير لفظة "الضاوية" من حيث المفهوم اللغوى، ووكذلک من حيث استعمالها فى الحديث، ومن حيث الأصل الذى اشتقت منه وفعلها.

٢. تفسير كلمة "الأعراق"

٣. إيضاح كلمة "المِحماق"

العُـمران:

العُمران مأخوذٌ من العَمْـر، وهو البقاء، فإذا بقـى الـرَّجُل فى داره فقد عمرها.

وطَفِـقـتُ سـحابةٌ تَغشـاها تَبكِـى علـى عِراصِها عيناها

قد تخيّمت على ذلک البيت سحابة، ولم تلبث أن بكت عيونها على ساحاته.

...قوله "مُمسَاهَا"، يعنى مَساءها. و"مغناها": موضعُها الَّذى أقيم فيه. والمَـغانـى: المَنازلُ الَّتى كان بها أهلُوها. و"طَفِـقَتْ": يعنى ظَـلَّت.«تبكى عَلى عراصِها عيناها.» عَيناها: هـاهـنا للسَّحاب، وجَعـَل المطر بكاءً السَّحاب على طريق الاستعارة، وتسميةِ الشَّىء باسم غيرِه إذ أقامَ مَقامه. ويقال لكل جَوْبـةٍ منفَتِـقةٍ ليس فيها بناءٌ: عَـرْصة.

ويمكن الإشارة فى تبيين الألفاظ الواردة فى البيت إلى عدة ملاحظات على النحو الآتى:

١. تفسير لغة "العمران" من حيث علم الدلالة الأصل الذى اشتقت منه والمفاهيم المستعملة.

٢. شرح كلمة "المُمسى".

٣. بيان كلمة "المَغانـى".

٤. تفسير فعل "طَفِـقت".

٥. بيان كلمة "عَيـناها".

٦. جعل المطر بكاء السحاب على طريق الاستعارة.

٧. نموذج من علاقة تسمية الشىء باسم غيره.

النتيجة

بما أن الجاحظ أحد جهابذة المترسلين فى الأدب العربى، وله مصنفات هامة مؤثرة فى اللغة، فتعرضنا لترجمة قصيرة له، وما فى كتاب "البـيان والتبـيين" من علم الدلالة للألفاظ المفردة، وخلصنا إلى نتائج منها:

١. إن الجاحظ وإن ولد فى بيت فقير بالبصرة، قد تمكن بعد نموه وترعرعه فى مسقط رأسه ولرغبته الأكيدة فى الدراسة، تمكن من انتقاله إلى دار الخلافة بغداد فتتلمذ هناك على علماء كبار فى العلم والأدب، وخلق مآثر أدبية هامة بمؤازرة الوزراء العظام آنذاك.

٢. إذا قطعنا النظر عن بعض الاستطرادات الشائعة فى نثر الجاحظ، يمكن القول بأن

آثاره تمثّل لنا دائرة معارف للعصر العباسى.

٣. لمعظم مصنفاته كالبـيان والتبـين، والحيوان والبُخلاء، أثر كبير فى النثر العربى وعليه من قبل الناس عامة والأدباء خاصة إقبال عظيم.

٤. يستشف بدراسة الأشعار العربية أن الجاحظ رغم ما له من عبقرية وذكاء واضطلاع فى رواية الأشعار وتفسير لغاتها قد يورد تفسيرا للفظة لم يذكر بيت شعر أو كلام يتضمنان اللفظة المعنيّة، كما أورد كلمة ''هَدَمين'' ص ١٦١ من المجلد الأول شعرا لأوس بن حجر، وفى لفظ ''الطَّارف'': المستفاد ص ١٦٣-١٦٢ من المجلد الأول شعرا لابنة وثيمة بن عثمان، وفى كلمة ''الصَّريف'': صوتُ احتكاكِ الأَنياب ص١٢٠ من المجلد الأول شعرا للمهلهل، غير أنه لم يوجد فيها تلك الكلمات الآنفة، ولم يتناول مصحّح نص «البـيان» هذه الألفاظ بالنقد والدراسة.

٥. يبدو من إمعان النظر فى الكتاب أن الجاحظ بعد ما تطرق فى المجلد الأول من كتاب ''البـيان والتبيـين'' إلى شرح المفردات وتفسير الألفاظ فى كل بيت يورده، فترك هذا الأمر فى المجلدين الثانى والثالث لفهم المخاطب، والجدير بالذكر أن الجاحظ نفسه قد توصل فى المجلد الأول إلى غايته المطلوبة فى البحث عن معنى المفردات، وكأنه كان يرى قارئ كتابه ''البـيان والتبيـين'' فى شأن مثل شأنه العلمى، فعلى أى حال كان عليه ألايترک مفردات المجلدين الثانى والثالث دون دراسة وتفسير.

٦. لم يتبع الجاحظ فى تفسير المفردات وتفسيرها أى نظام ومنهج ومعيار وشرح بعض المفردات ولم يذكر أى منهج له أو أساس بنى عليه تفسيره اللغوى، هل كان يعتبر ما شرح من المفردات صعبا عسير الفهم أو اختار تلك الألفاظ لسبب خاص له، فلايقبل من عالم مثله مثل هذه الدراسة، وإن كان بوسعنا أن نحسب هذا الأسلوب فى شرح المفردات معهودا شائعا آنذاک.

٧. لم يكتف الجاحظ بالمواضيع التى درسها فى المجلد الأول نحو عيوب اللسان، والبيان، والبلاغة، والشعر، وذكر المعلمين، وذكر الخطباء، وغيرها، وإنما ذكر العديد من المواضيع دون ترتيب وعلاقة بينها، وهناک استطرادات فى كتاب البـيان والتبيـين.

المصادر والمراجع

إبراهيم. ١٤٢٦ق. *المعجم الوسيط*. الطبعة الخامسة. طهران: مؤسسة الصادق.

ابن خلدون. لاتا. *المقدمة*. مطبعة المصطفى محمد (ص).

ابن منظور، محمد بن مكرم. ٢٠٠٥م. *لسان العرب*. الطبعة الأولى. لبنان: مؤسسة الأعلمي.

بالمر، فرانكر. ١٣٧٤ش. *نگاهی تازه به معنی شناسی*. ترجمه كوروش صفوی. تهران: نشر مركز.

البستاني، بطرس. ١٩٨٠م. *محيط المحيط*. بيروت: مكتبة لبنان.

بلّا، شارل. ١٩٨٥م. *الجاحظ*. ترجمه: إبراهيم الكيلاني. الطبعة الأولى. بيروت: دارالفكر.

الجاحظ، عمرو بن بحر. ١٩٩٠م. *البيان والتبيين*. شرح عبدالسّلام هارون. بيروت: دار الجيل.

الجُرّ، خليل. ١٩٧٣م. *لاروس المجعم العربی الحديث*. مكتبة لاروس.

الجوهری، إسماعيل بن حماد. ٢٠٠٨م. *صحاح اللغة*. الطبعة الثالثة. لبنان: دارالمعرفة.

حاجی زاده، مهين. ١٣٨٨. *دراسة آراء سيبويه الصّوتية فی ضوء البحث اللغوی الحديث*. فصيلة التراث الأدبی. العدد الخامس. السنة الثانية. جيرفت: جامعة آزاد الإسلامية.

الزبيدی، محمد مرتضی. ١٩٦٦م. *تاج العروس*. بيروت: دارالبيبا.

الزركلی، خيرالدين. ١٩٨٨م. *الأعلام*. الطبعة الثالثة عَشْرَة. لبنان: دارالعلم للملايين.

شاهجهانی، عبدالرشيد تتوی. لاتا. *معجم منتخب اللغات (عربی ـ فارسی)*. طهران: الإسلامية.

الشهرستانی، عبدالكريم. ١٩٤٨م. *الملل والنحل*. تحقيق أحمد فهمی محمد. الطبعة الأولى. مكتبة الحسين التجاريّة.

عوض حيدر، فريد. ٢٠٠٥م. *علم الدلالة: دراسة نظرية تطبيقية*. مكتبة الآداب.

الفراهيدی، الخليل بن أحمد. ١٤٢٥ق. *العين*. تحقيق مهدی المخزومی وإبراهيم السامرائی. قم: مطبعة أسوة.

الفراهيدی، الخليل بن أحمد. ١٩٨٨م. *العين*. الطبعة الأولى. لبنان: مؤسسة الأعلی.

الفيروز آبادی، محمد بن يعقوب. ١٩٨٧م. *القاموس المحيط*. الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة الرسالة.

القالی، أبوعلی. ١٩٥٣م. *الأمالی*. تحقيق إسماعيل يوسف بن ديّار. مصر: مطبعة السعادة.

المظفر. محمدرضا. ١٣٥٧ش. *المنطق*. النجف: مطبعة النعمان.

معلوف، لويس. لاتا. *المنجد*. ترجمة محمد بندرريگی. الطبعة الثانية. طهران: منشورات إيران.

معين. محمد. ١٣٦٢ش. *فرهنگ معين*. تهران: امير كبير.

نصيرالدين توسی، محمد. ١٣٣٥م. *أساس الاقتباس*. تصحيح مدرس رضوی. طهران: جامعة طهران.